ملخص التذوق الأدبى

د. ليلى رضوان

أعداد :

ENAS1122

SHIAKHAH

عـلـي

المحاضرة الأولى

(الأدب : مفهومه ووظائفه)

أولاً : مفهوم الأدب :

جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه .

فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك . وهي المأدَبة والمأدبة. والآدب : الداعي للطعام .

قال طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

والمأدُبة التي يصنع لها هذا الصنيع ، والمأدبة : هو الطعام الذي يصنعه الرجل ، ويدعو إليه الناس » . هذا هو المعنى الحسي للكلمة ، ثم تطورت الكلمة إلى معنى معنوي ، تمثل في الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، والاتصاف بالخلال الحميدة. وبذلك صار معنى الأدب الذي يتأدبُ به الأديبُ من الناس ، سمي أدبًا لأنه يؤدب الناس ، فينهاهم عن القبائح . ونجد أن مدلول الكلمة في عصر بني أميّة أضاف إلى هذا المعنى التهذيبي معنى آخر وهو المعنى التعليمي ، حيث أُطلق على طائفة من المعلمين اسم المؤدبين ، وهم الذين يعلمون أبناء الخلفاء والأمراء أصول الثقافة العربية الرفيعة من شعر ، وحكم ، وخطب ، ونوادر ، علاوة على تعليمهم الأنساب العربية، وأيام العرب في الجاهلية والإسلام ، ثم ضيق العلماء مدلول كلمة الأدب حتى قصروها على علوم اللغة العربية ، حيث عنوا به ثمانية علوم ، وهي : النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم .

وقد تعددت تعاريف الأدب في العصر الحديث ، وتفاوتت حسب اتجاهات أصحابها وبيئاتهم ومذاهبهم وفلسفاتهم ، ويمكننا أن نستخلص منها تعريفا يجمع أهم ميزاته . وهو :

نصوص لغوية ، رصفت كلماتها وصيغت عباراتها بطريقة مخصوصة للتعبير عن تجربة شعورية قادرة على الوصول إلى الآخرين بأكبر قدر من الإمتاع والتأثير .

والمراد بالتجربة هنا ما يجده الأديب في نفسه من عاطفة صادقة ؛ ينبض بها قلبه ، أو فكرة ملحة يعتمل بها عقله ، أو قضية من القضايا ينشغل بها وجدانه .

والأدب شكل ومضمون ، متلازمان لا ينفصلان .

وينبغي أن يتوافر في الشكل عناصر فنية لتحمل المضمون بكل تفاصيله الفكرية مشحونة بالعواطف والانفعالات المصاحبة لها .

التذوق الأدبي – المصطلح والمفهوم :

الذوق حاسة من الحواس المعروفة التي يباشر بها الإنسان المطعومات والمشروبات ، فيميز جيدها من من رديئها . ومن ثم انتقلت الكلمة من المعنى الحسي إلى المعنى الذهني .

والذوق لا يقنن ، ولا يخضع للضوابط ، لأنه خاضع لفردية كل شخص ، ولكن الذوق المثالي هو الذوق المتوازن بين الذاتية والموضوعية.

وقد تشترك جماعة في ما في الذوق إذا جمعتها بيئة وثقافة وغيرها مما يؤلف بين أذواقها ، ويشكل لها قاسما مشتركا تتفق فيه على الخطوط العريضة لهذا الفن أو ذاك .

التذوق من الذوق ، أتى على صيغة (تفعل) يدل على أن للمتذوق إرادة مقصودة في تحسسه وتتبعه لما يقع تحت ذائقته، وأنه يتعهد ذوقه بتدريبه على الإحساس بالجمال ، ويتلمس ما في مشاعره من توق إلى هذا الشيء بأنه جميل أو محبوب .

وقد استخدم النقاد العرب قديما مصطلح الذوق في الدراسات الأدبية القديمة ، وتميل الدراسات الحديثة إلى استخدام مصطلح التذوق .

والفهم عملية تسبق التذوق ، فلا نتمكن من تذوق أي نص إلا إذا فهمناه . وعلى هذا يكون التذوق نشاطا عقليا ووجدانيا يستعان به في مرحلة الإدراك التام للنص والإحساس بلذته ،

أو هو – على الأصح – مرحلة تفاعلية ضرورية مع الاستجابات

المختلفة لما يحمله النص الأدبي من إيحاءات وانفعالات .

ومهمة التذوق هي إدراك النص في أبعاده ومراميه ، وهو محاولة لإدراك نبض النص برؤية شفافة وحس مرهف ، والنظر بعمق فيما وراء سطوره من المعاني والأحاسيس .

والقدرة على توظيف الذوق في تلقي النصوص وتقييمها تدعى ملكة لا علما ، والملكة موهبة تنمو مع كثرة المران والدربة .

أما كلمة أدبي في تركيب التذوق الأدبي ، فتعني كل فن مادته الكلمة سواء أكان شعرا أم نثرا، والنصوص الأدبية هي مسرح الذوق والتذوق ومجلى الجمال والجلال ، وتتضاءل وظيفة الذوق في النصوص العلمية وما يقاربها .

ولمعرفة الفرق بين الأسلوبين الأدبي والعلمي التي يسوغ فيه توظيف الذوق أو لا يسوغ توظيفه .

النص الأول (الأسلوب العلمي) :

القمر أقرب بكثير إلى الأرض من أي جرم آخر في السماء ، لا يتعدى بعده عن الأرض معدل ٣٨٤٠٠٠كم ، وهو ما يعادل عشرة أضعاف طول خط الاستواء تقريبا .....

النص الثاني (الأسلوب الأدبي) :

يا قمر يا ملك النجوم ، إنا هدنا إليك نجتلي طلعتك فهلا أعرتنا سمعك ؟ يا قمر ، تلك ليلة الأدب تترسل تحت شعاعك فيها دراري النثير ، وتترامى قلائد النظيم منضودة عليها صفاء مائك ، وطلاوة روعتك ، وهدوء جلالك ، وتسامي دارتك.

ففي النص الأول لا مدخل فيه للذوق على نقيض النص الثاني.

مهمة المتذوق:

إن مهمة المتذوق المتخصص لا تقتصر على الحكم على النص حكما انطباعيا أو ذاتيا ، بل يفسر ما يصدره من أحكام ، وما يشعر به من إعجاب وارتياح ، أو إثارة أو نفور ، أو إكبار واحتقار. أما المتذوق غير المتخصص فإنه يعجز عن تحليل النص ، وتعليل جماله ، لذلك يقف عن حد الإعجاب والتأثر الانطباعي ، فيكون حكمه سطحيا ساذجا بسيطا .

لذلك نستطيع القول إن التذوق هو تدريب الذوق على إدراك الجمال الفني في النص الأدبي .

انتهت المحاضرة

المحاضرة الثانية

المؤثرات العامة والخاصة فى الذوق الأدبى

- عناصر التذوق الأدبي .
- مصادر التذوق الأدبي .
- أقسام الذوق .

عناصر الذوق الأدبى :

لو تساءلنا : ما هي عناصر الذوق الأدبي؟
هل تتفق الأذواق ؟
هل لمكونات الذوق الفردي علاقة بالأحكام النقدية التي يطلقها الفرد؟
للإجابة عن هذه الأسئلة لابد أن نحدد أولا عناصر الذوق الأدبي .
فالذوق الأدبي مزيج من العاطفة ، والعقل ، والحس ، ولعل العاطفة أهم عناصره.
وعناصره هذه هي أحد أسباب اختلاف الذوق من شخص لآخر.
ولاختلاف الذوق تجليات في الأحكام النقدية الصادرة من النقاد ؛ فمن غلب عليه العاطفة فتن بشعراء النسيب ، ومن غلب عليه عنصر الفكر ، آثر شعراء المعاني كأبي تمام والمتنبي والمعري، ومن غلب عليه الحس فضل أسلوب أمثال البحتري.

مصادر التذوق الأدبى :

الذوق الأدبي ملكة وهبة طبيعية ، وتعني الاستعداد الفطري لتذوق الأدب والفنون الأخرى .
والذوق (الموهبة) تحتاج إلى التهذيب والدرس ويتم ذلك بالقراءة والتمرس بالأساليب الأدبية ، فيتكون لدى الموهوب ذوق مثقف قادر على إصدار الأحكام النقدية ، وتلمس الجمال في النصوص الأدبية .

دراسات جمالية فى الشعر :

قال الشاعر:

تمنانا ليلقانا بقوم تخالُ بياض لأمِهِمُ السرابا
فقد لا قيتنا فرأيت حربا عَوانا تمنع الشيخَ الشرابا

فصاحب الذوق المثقف ، يعرف مواطن الجمال ، ويتحسسه أنى وجد ، وقد تبدى الجمال من ناحية في الفاء ، والجمال فيها متأت من كونها صلة بين أمل العدو الخائب

وشماتة عدوه الظافر ، وهي كذلك رمز المفاجئة الخطيرة ، والوجه المنتصر يلقى الوجه المغلوب .

وكذلك الفاء في قول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

والتقديم والتأخير في قول الشاعر:

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

أقسام الذوق :

١) الذوق السليم والذوق السقيم .
أ- الذوق السليم : هو الذوق الحسن الصحيح الذي هذِّب وصقل ، وغدا قادرا على إطلاق الأحكام ، وتمييز جيد الأدب من رديئه.
ب- الذوق السقيم : هو الذوق الفاسد غير القادر على إطلاق الأحكام النقدية ..

٢) الذوق الإيجابي والذوق السلبي .
أ- الذوق الإيجابي : هو الذوق الذي يدرك الجمال ، ويميز جيد الأدب من رديئه ، ويعلل لهذا الإدراك.
ب- الذوق السلبي : هو الذوق الذي يدرك الجمال ولكنه يعجز عن تفسير ما يدرك أو تعليله.
- ولكن هذا لا يعني أن الجمال يمكن أن يعلل دائما ، فقد نعجب بقصيدة ما ولكننا نقف عاجزين عن تعليل جمالها . -

٣) الذوق العام ، والذوق الخاص ، والذوق الأعم:
أ - الذوق الخاص : الذي يختلف من فرد لآخر .
ب - الذوق العام الذي يشترك فيه مجموعة من الأفراد نتيجة خضوعهم لظروف واحدة .
ج - الذوق الأعم الذي يشترك فيه الناس جميعا بحكم طبيعتهم الإنسانية التي تتذوق الجمال ومثاله إجماع الذوق العربي على حب المتنبي ، وإجماع الغرب على تفضيل شكسبير.

٤) الذوق العادي والذوق المتمرس :

أ- الذوق العادي : وهو الذوق الفطري والملكة التي يحكم من خلالها على النص بسذاجة من دون تعليل .

ب- الذوق المتمرس : وهو الذوق المثقف ، الذي صقل بطول المدارسة ، وتأتي أحكامه معللة دقيقة .

العوامل المؤثرة في اختلاف الذوق :

ليس الذوق الأدبي ثابتا ، بل يخضع لمؤثرات تفعل فعلها فيه ، فيتغير ويتطور ، من هذه العوامل :

١- البيئة : ونعني بها الخواص الطبيعية والاجتماعية التي تميز مكانا ما ، وتؤثر في أفرادها، ومن هنا اختلفت أذواق أهل البادية عن أذواق أهل الحاضرة ، كما تختلف أذواق أبناء الطبقات المختلفة .

لذلك نجد أهل البادية قديما يفضلون زهيرا وذا الرمة ؛ لأن شعرهما بدويا لفظا ومعنى ، وفضل أهل الكوفة الأعشى لأنهم أهل لهو.

وقصة علي بن الجهم معروفة مع المتوكل ، وهي تبين تطور الذوق مع تطور الحياة .

فتطور ذوقه من قوله يمدح المتوكل :

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

إلى قوله :

عيون المها بين الرُّصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

٢- الزمان : فالذوق يتأثر بتطور الزمن وما يستجد فيه من مهيئات الحياة ، فذوق ابن العصر الجاهلي غيره لدى ابن هذا العصر.

لذلك نجد حركة التطور في الشعر تحاكي تطور العهد ، ومن هنا كانت حركة الشعر المحدث ، ورفض الوقوف على الأطلال .

لقد ظهر هذا واضحا في شعر أبي نواس الذي استبدل الخمرة بوصفها مكونا حضاريا بالأطلال :

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ونشأ أدب وليد طافح بالمحسنات البديعية ، يحاكي ترف الحياة ، ويعبر عن تطور العقل ، وبدا هذا واضحا في شعر أبي تمام الذي ساير تطور العقل وتعقده :

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب

٣- الجنس : نعني به الجماعة التي سكنت مكانا واحدا ، وخضعت في حياتها لعوامله عهودا طويلة ، فنشأت فيهم طائفة من العادات والتقاليد والأخلاق وطرق الفهم والإدراك يخالفون فيه سواهم ممن أنجبتهم بيئة أخرى مغايرة .
وعلى سبيل نجد البهاء زهير بظهور متأثرا بالذوق المصري في شعره.

4 - التربية : ونعني بها آثار الأسرة والتعليم والتنشئة التي تؤثر في الذوق . -
- ومثالنا على ذلك ابن الرومي وابن المعتز . فقد سئل ابن الرومي : لماذا لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه؟
كما في قوله :
فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر
فصاح : واغوثاه يا لله ! لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون بيته ؛ لأنه ابن خلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟

أنا أقول :
ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها زهراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

٥- المزاج الخاص : فالمزاج هو الشخصية الفطرية الطبيعية التي تختلف من شخص لآخر.
ومثاله ابن الرومي الذي كان سوداوي المزاج متشائما كما في قوله:
لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأفسح مما كان فيه وأرغدُ
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد
فقد خلع على الدنيا مزاجه الحزين المتشائم ، حتى إنه لا يرى

وتصوَّر أن الطفل يبكي ساعة ولادته من معرفته بكوارث الحياة.
ونرى بالمقابل البحتري يخلع على الربيع بهجة من نفسه ، فتشيع فيه الحياة والجمال :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غلس الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما

المؤثرات السالبة على نتائج التذوق الأدبي :

١- عدم التهيؤ النفسي الصحيح .
٢- تغليب الحس النقدي.
٣- عدم الصبر والتعجل في الوصول إلى النتائج التذوقية .
٤- الإلحاح في طلب الوصول إلى نتائج من غير ترو.
٥- انعدام الثقافة .
٦- تغليب النظرة الفكرية على الحس الوجداني الفعال.

التقليل من تأثير هذه العوائق :

١- تقوية الاستعداد الفطري بالقراءة والاطلاع.
٢- تعهد ملكة التذوق بالتدرب والممارسة المستمرة.
٣- التعود على تأمل العمال الأدبية .
٤- التدرب على نصوص جيدة.
٥- الإحاطة بجوانب النص الأدبي.
٦- الاطلاع على الآداب العالمية .

أهمية التذوق الأدبي :

التذوق الأدبي يمهد للعملية النقدية لدى المتلقي ، ويشذب العمل لدى المبدع .

فوائد التذوق الأدبي السليم :

١- تقدير الأعمال الأدبية والفنية .
٢- الاستمتاع بالخصائص الجمالية للأعمال الفنية .
٣- محاكاة ذلك الجمال في الأعمال الأدبية والفكرية .

انتهت المحاضرة

المحاضرة الثالثة

مقومات التذوق الأدبي للنص :

النص الأدبي نتاج إبداعي ، تضافرت عدة عناصر في تكوينه ، وهي عينها مكونات الذوق الأدبي عند المبدع والمتلقي للنص .

ولا يكون النص نصا إلا إذا توافر فيه عدد من مقومات التذوق الأدبي وفي ضوئها يتم تذوق النص والوقوف على قيمته الجمالية .

وهذه المقومات هي :

أولا :المقومات الفكرية

تتمثل في العنصر العقلي في النص ، و هي المعاني الذهنية التي تنقل إلينا بوساطة اللغة ، والفكرة هي العنصر العقلي في النص ومظهر فكر الأديب وثقافته .

والفكر المشحون بالعاطفة يعلي من قيمة الأدب لأنه يمدنا بمعلومات وحقائق عن الكون والناس .

مقاييس جمال الأفكار في العمل الأدبي :

- الجدة ، ونعني جدة التناول ، وليس الخلق على غير مثال .

- الصِّحة أو قوة التأثير .

- الواقعية أي العرض الفني للواقع .

-الاتساع الأمر الذي يجعل النص مفتوحا وقابلا للتأويل .

- السمو أي أن تكون قادرة على الارتقاء بالإنسان ، وتجاوز أوضاعه الراهنة .

مقاييس جمال الأفكار في العمل الأدبي :

- أن تكون الأفكار راقية سامية : أي أن تكون قادرة على الارتقاء بالإنسان ، وتجاوز أوضاعه الراهنة .

- أن تتسم الأفكار بالجدة والابتكار ، ونعني جدة التناول ، وليس الخلق على غير مثال .

- أن تتصف الأفكار بالترابط .

- أن تتصف الأفكار بالعمق .

- أن تتصف الأفكار بالصدق . أي الصدق الفني

ثانياً :المقومات العاطفية :

وهي مجموعة الأحاسيس والمشاعر التي تسود العمل الأدبي، وبحسب درجة قوتها تؤثر في المتلقي . فعاطفة الحزن يكون معها الرثاء على سبيل المثال .

ومن مقاييس العاطفة في العمل الأدبي :

- صدق العاطفة أي أن تكون العاطفة غير زائفة بعيدة عن الغلو . – سمو العاطفة أي أن تكون العاطفة نبيلة راقية ، تثير في المتلقي عواطف الحق والخير والجمال .

- قوة العاطفة أو روعتها ، فقوة العاطفة في النص يعني قدرته على استثارة عواطف المتلقي .

ثالثاً : المقومات الخيالية :

وهي ملكة الإبداع ، يجسد من خلالها المبدع المعاني والأشياء والأشخاص ، ويمثلها أمامنا ، وتتمثل باللغة التصويرية في التشبيه والاستعارة والمجاز عموما .

فالأديب لا يعبر بشكل مباشر ، بل يعبر بشكل غير مباشر ، ويقدم المعنى من خلال صور موحية تفتح الباب واسعا أمامنا لرؤية الجمال .

أنواع الخيال :

الخيال الابتكاري : أي إعادة صياغة الواقع فنيا . -

- الخيال التأليفي : وهو خيال يربط بين أشياء متشابهة ، يضمها إطار عاطفي واحد ، أو حالة نفسية متماثلة .

- الخيال التفسيري : وهو خيال يفسر الأشياء الخارجية ، كأن يجسد الربيع فتاة حسناء بغية تفسير جمالها .

رابعاً : المقومات الفنية :

ونعني بها الصياغة اللفظية التي تحمل الأفكار والعواطف ، والتراكيب ، والموسيقى ، والأساليب اللغوية .

أ- الألفاظ : وهي حاملة المعنى ، يتجلى جمالها في قوتها وتفردها ومناسبتها للمعنى ، وفصاحتها وعذوبتها .

ب- التراكيب : وهي اجتماع الألفاظ لإفادة المعنى ، وينبغي أن تكون بعيدة عن التعقيد والمعاظلة ، والحشو ، والابتذال ، والخطأ .

ج-الأساليب اللغوية : وهي طريقة التعبير والتفكير .

د- المحسنات البديعية :وهي محسنات لفظية ومعنوية ؛ أما المحسنات المعنوية فهي الطباق والمقابلة والتورية ،و المحسنات اللفظية فهي الجناس ، والسجع ، وغيرها ..

هـ - الموسيقى : وهي ما تميز لغة الشعر، وهي كذلك الموسيقى الداخلية والخارجية .

و- وحدة النص : وهي نوعان ؛ معنوية : وهي الوحدة النفسية ، أي وحدة الشعور والإحساس الذي يسري في جنبات النص الأدبي ، فيلون عناصره من أفكار وألفاظ وصور بلون واحد نابع من موقف نفسي يعانيه الكاتب أو الشاعر. وموضوعية : أي أن تدور القصيدة حول موضوع واحد ، يكون هو محورها ، وعلى أساسه يتم اختيار عنوانها الذي يدل على هذا الموضوع .

ز- البناء : وهو الهيكل العام الذي يصب فيه الأديب إبداعه ، وهو يختلف من فن إلى آخر ؛ فبناء القصيدة يختلف عن بناء القصة أو الرواية ، ويختلف كذلك بناء الخطبة عن الرسالة و المقالة .

انتهت المحاضرة

المحاضرة الرابعة

دراسة قصيدة الذئب للبحتري- المعنى (جماليات النص):

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد ** أما لكم من هجر أحبابكم بد

أحبابنا قد أنجز البين وعده ** وشيكا ولم ينجز لنا منكم وعد

أطلال دار العامرية باللوى ** سقت ربعك الأنواء ما فعلت هند

أدار اللوى بين الصريمة والحمى** أما للهوى إلا رسيس الجوى قصد

بنفسي من عذبت نفسي بحبه ** وإن لم يكن منه وصال ولا ود

حبيب من الأحباب شطت به النوى ** وأي حبيب ما أتى دونه البعد

إذا جزت صحراء الغوير مغربا ** وجازتك بطحاء السواجير يا سعد

فقل لبني الضحاك مهلا فإنني أنا ** الأفعوان الصل والضيغم الورد

بني واصل مهلا فإن ابن أختكم ** له عزمات هزل آرائها جد

متى هجتموه لا تهيجوا سوى الردى ** وإن كان خرقا ما يحل له عقد

مهيبا كنصل السيف لو قذفت به ** ذرى أجإ ظلت وأعلامه وهد

يود رجال أنني كنت بعض من ** طوته المنايا لا أروح ولا أغدو

ولولا احتمالي ثقل كل ملمة ** تسوء الأعادي لم يودوا الذي ودوا

ذريني وإياهم فحسبي صريمتي ** إذا الحرب لم يقدح لمخمدها زند

ولي صاحب عضب المضارب صارم ** طويل النجاد ما يفل له حد

وباكية تشكو الفراق بأدمع ** تبادرها سحا كما انتثر العقد

رشادك لا يحزنك بين ابن همة ** يتوق إلى العلياء ليس له ند

فمن كان حرا فهو للعزم والسرى ** ولليل من أفعاله والكرى عبد

وليل كأن الصبح في أخرياته ** حشاشة نصل ضم إفرنده غمد

تسربلته والذئب وسنان هاجع ** بعين ابن ليل ما له بالكرى عهد

أثير القطا الكدري عن جثماته ** وتألفني فيه الثعالب والربد

وأطلس ملء العين يحمل زوره **وأضلاعه من جانبيه شوى نهد

له ذنب مثل الرشاء يجره ** ومتن كمتن القوس أعوج منأد

طواه الطوى حتى استمر مريره ** فما فيه إلا العظم والروح والجلد

يقضقض عصلا في أسرتها الردى ** كقضقضة المقرور أرعده البرد

سما لي وبي من شدة الجوع ما به ** ببيداء لم تحسس بها عيشة رغد

كلانا بها ذئب يحدث نفسه ** بصاحبه والجد يتعسه الجد

عوى ثم أقعى وارتجزت فهجته ** فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها ** على كوكب ينقض والليل مسود

فما ازداد إلا جرأة وصرامة ** وأيقنت أن الأمر منه هو الجد

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها ** بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فخر وقد أوردته منهل الردى ** على ظمإ لو أنه عذب الورد

وقمت فجمعت الحصى واشتويته ** عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيسا منه ثم تركته ** وأقلعت عنه وهو منعفر فرد
لقد حكمت فينا الليالي بجورها ** وحكم بنات الدهر ليس له قصد
أفي العدل أن يشقى الكريم بجورها ** ويأخذ منها صفوها القعدد الوغد

ذريني من ضرب القداح على السرى ** فعزمي لا يثنيه نحس ولا سعد

سأحمل نفسي عند كل ملمة ** على مثل حد السيف أخلصه الهند

ليعلم من هاب السرى خشية الردى ** بأن قضاء الله ليس له رد
فإن عشت محمودا فمثلي بغى الغنى ** ليكسب مالا أو ينث له حمد

وإن مت لم أظفر فليس على امرئ ** غدا طالبا إلا تقصيه والجهد

<u>من هو البحتري؟</u>

هو أبوعبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي ، لقب بالبحتري لقصر قامته . ولد في منبج إلى الشمال الشرقي من حلب في سوريا سنة ٢٠٥ هـ .

كان تلميذا لأبي تمام .

كان شاعر المتوكل ثم المنتصر ومن بعده المستعين ، وأخيرا المعتز بن المتوكل .

مثل عمود الشعر ، واتسم شعره بالبساطة والوضوح ، وكان وصافا مصورا بارعا، من أشهر قصائد الوصف لديه: إيوان كسرى والربيع . توفي سنة ٢٨٤م .

معنى القصيدة :

بنى الشاعر قصيدته على روي الدال ، فدعيت بالدالية ، وهي من البحر الطويل .

يصف الشاعر صراعا بينه وبين ذئب ، وكلاهما يتضور جوعا، وهمّ كل منها بأكل الآخر، ثم كانت الغلبة للبحتري ، فقتل الذئب ، وشواه ، وأكل منه.

لوحات القصيدة :

تشكل القصيدة أربع لوحات فنية :

- لوحة الأطلال (من البيت الأول إلى البيت السابع

- لوحة الفخر بالنفس (من البيت الثامن إلى البيت الثامن عشر).

- لوحة الصراع (من البيت التاسع عشر إلى البيت الرابع والثلاثين).

المعنى - لوحة الحكمة (من البيت الخامس والثلاثين إلى البيت البيت الواحد والأربعين)
- الكامن وراء الصراع الظاهري بين الشاعر والذئب .

يريد البحتري أن يصور حياة الوحشة التي يحياها .

محاولة إسباغ الشجاعة على نفسه ، ليبدأ حياة جديدة.

رمزية الذئب.

موقف الدفاع عن النفس .

انتصار الشاعر .

جماليات القصيدة:

اللغة استثمار إمكانيات اللغة .

نهج القصيدة.

التصوير الفني .

الموسيقى.

انتهت المحاضرة

المحاضرة الخامسة

متابعة دراسة قصيدة البحتري

المناقشة (دراسة وتدريبات)

المعنى الإجمالي للقصيدة :

يشي مشهد الذئب في هذه القصيدة بأنه مشهد مختلف عما ألفناه عند كثير من شعراء العرب، فالشاعر لا يريد الكشف عن شجاعته باستضافته للذئب،وإنما يريد تصوير حياة التوحش المأساوية التي يعيشها الشاعر جراء خصومته مع بني الضحاك مع قرابتهم له التي تمثل الخؤولة مما حدا بالشاعر أن يختار الرحيل عنهم ليبدأ حياة جديدة .

ويحاول إثبات شجاعته في مواجهة أعدائه، نراه يختار الذئب ليواجهه ليؤكد هذا المعنى،ولم يكن الشاعر راغبا في هذه المواجهة العدوانية وذلك يظهر في قوله:

ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد سما لي وبي من شدة الجوع ما به

فالبحتري ينفي في هذا البيت عن ذاته المبادرة بالعدوان(سما لي)على الرغم من أن كليهما يعانيان الظروف ذاتها(وبي من شدة الجوع ما به)،وهذا سلوك كان حاضرا في علاقته بأخواله :

متى هجتموه لا تهيجوا سوى الردى وإن كان خرقا ما يحل له عقد

مهيبا كنصل السيف لو قذفت بـه ذرى أجإ ظلت وأعلامها وهــد

فموقف الشاعر ليس إلا ردة فعل يرفض الصمت إزاءها، ويأتي استدعاء المكان(ببيداء)بكل جفافه " لم تحسس بها عيشة رغد " ليؤكد حتمية المواجهة، إذ يصبح ما وصفه به من أزلية الخيار الآخر أمام الطرفين هو الموت جوعا، وهذا ما تكشف عنه الجملة المنفية:" لم تحسس به عيشة رغد" هذا المكان لا يمكن أن ينبت نباتا، فالموت أمر حتمي.

إن الواقع المأساوي لطرفي هذه المواجهة أحالهما إلى كائنين متشابهين لا يختلفان:

"كلانا بها ذئب يحدث نفسه"
لقد ابتعد الشاعر عن إنسانيته، حيث تقمصه السلوك المتوحش،فنحن بإزاء ذئبين كاسرين تحركهما رغبة كل

منهما في القضاء على الآخر.

وبذلك يتحول النص إلى سرد تفصيلي يوضح المواجهة بين الشاعر والذئب :

عوى ثم أقعى، فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

فالذئب قبل هجومه أراد أن يبث الرعب في نفس خصمه عبر الصوت، فأطلق عواءه الذي ينبئ لحضوره، وأخذ ينتظر ردة فعل الآخر، وربما كان الذئب واثقا من فزع الخصم، إذ إن موقع الصراع على ساحته، غير أن الرد جاء مفاجئا للذئب حيث واجه الشاعر صوت الذئب بصوته، وهذا الفعل كان كافيا لإثارة الذئب ليبدأ

انقضاضا سريعا على خصمه:

" فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد"، و على الإيقاع ذاته من السرعة كانت ردة فعل الشاعر فقد سدد له سهما سريعا :

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها على كوكب ينقض، والليل مسود

لكن هذه الطعنة منحت الذئب مزيدا من التصميم على المواجهة بدلا من التراجع" فما ازداد إلا جرأة وصرامة"، فأدرك الشاعر جدية رغبته في القضاء عليه، وعدم خوفه، فقد كان الذئب أمام خيارين: إما الموت جوعا خاصة أن الذئب لم يجد بديلا عن الشاعر، أو الموت قتلا على يد الخصم، وهذا موت يمتزج بأمل الانتصار على خصمه، وإشباع جوعه ، ولهذا انتصر الخيار الثاني :

فاتبعتها أخرى، فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فخر وقد أوردته مورد الـردى على ظمأ لو أنـــه عذب الـورد

وتصوير الموت بالمنهل يأتي متناسبا مع ذلك الاندفاع من الذئب للنيل من الشاعر رغم إدراكه ما ينتظره من الموت، إذ يوهم ذلك بشدة ظمأه وأن الموت أطفأ هذا الظمأ:

وقمت فجمعت الحصى واشتويته عليه وللرمضاء من تحته وقد

ونلت خسيسا منــه، ثم تركتــه وأقلعت عنه وهو منعفر فرد

وهذان البيتان يكشفان عن ذروة ما وصل له الشاعرمن التوحش، حيث عمد إلى الأكل من لحم الذئب، لكن الإنسان في داخله كان أقوى حضورا حيث اكتفى بالقليل من اللحم على شدة جوعه، وانصرف مزهوا بانتصاره عليه .

المناقشة :

١- كيف تعلل التصوير الفني الرائع للبحتري في مواجهته مع الذئب ، وفي التغني بنفسه ، والإعلاء من شأنها ، حين تعلم أن الروايات التاريخية تؤكد أن البحتري كان جباناً؟

الجواب :

من خلال دراستنا للقصيدة وبحثنا عن المعنى الخفي العميق نرى أن البحتري يريد تصوير حياة الوحشة التي يعيشها بدءا من خصومته مع بني الضحاك مرورا بخطورة الوضع السياسي الذي يتربص به حين نستذكر أنه عاش في بلاط أربعة خلفاء ، وانتهاء بمحيطه ، فهو يريد الرحيل ، وبدء حياة جديدة ، يثبت فيها شجاعته في مواجهة الحياة

الجديدة الغامضة ، التي دلل عليها من خلال توحشه في مفتتح القصيدة ، إذ افتتحا بالنفور واليأس . ومن ثم قدرته على البعد عن الناس ، وصراعه مع الأعداء.

٢- استهل البحتري قصيدته بمقدمة طللية مع أنه ينتمي إلى العصر العباسي . علل ذلك.

الجواب:

البحتري لم تنقطع صلته بالتراث ، وكان على مذهب الأقدمين وما فارق عمود الشعر ، لذلك ابتدأ على مذهب القدماء بالوقوف على الأطلال ، إضافة إلى أنه أراد أن يصور قحط حياته ووحشته ، فما وجد أفضل صورة من الطلل يعبر عن ذلك.

٣- بين الفكرة الأساسية في كل لوحة من اللوحات الأربع للقصيدة.

الجواب :

اللوحة الأولى : لوحة الأطلال وذكر المحبوبة

اللوحة الثانية : لوحة الفخر بالنفس.

اللوحة الثالثة : لوحة الصراع مع الذئب .

اللوحة الرابعة : لوحة الحكمة .

٤- علل اختيار البحتري لذئب بالمواصفات الشديدة التي مرت معك.

الجواب :

أراد البحتري أن يصور قساوة الحياة ، وضراوة الأعداء الذين يتربصون به ، ولكنه اختارهذه الصفات ليقول إنه قادر على صراعها ، وليثبت شجاعته.

٥- يتميز البحتري في اختيار اللفظ المطابق للمعنى ، أين تجد ذلك في القصيدة ؟

الجواب :

تجلى ذلك في قوله :

يقضقض عصلا في أسرتها الردى كقضقضة المقرور أرعده البرد

لجأ إلى التكرار اللفظي ليحدث إيقاعاً موسيقيا يحاكي الحال التي يعيشها . فالضاد مفخمة شديدة الانفجار كانت تفخيماً للدال لتصبح بذلك أعلى منه وأملأ صوتاً ، وأكثر تلوناً بإيحاءاته الصوتية ، وصوت الضاد في حالة التفخيم والتشديد يوحي أيضاً بالصلابة والشدة كإحساس سمعي .

لقد كرر الضاد والقاف ، وصوت القاف شديد هنا مجهور ، كان (للمفاجأة تحدث صوتاً كما أنه (للمقاومة) . وكلا الوصفين يفضيان به إلى أحاسيس من القساوة والصلابة والشدة وإلى أحاسيس بصرية وسمعية ، وهو من " أصوات القلقلة التي توحي بالاضطراب والقلق.

٦- هل تجد في الذئب معادلا موضوعيا لشيء ما عند البحتري ؟

الجواب :

يشترك الاثنان في الدوافع الغريزية ، فكلاهما جائع ، وحياة كل منهما متوقفة على موت الآخر . كما أنّه أراد التعبير عن العلاقات الذئبية التي تسم مجتمع المدينة، بغداد وسامراء ولاسيما على المستوى الثقافي والسياسي، حيث التنافس للحصول على المكانة الأدبية من جهة، وتنافس الأمراء العباسيين في العصر العباسي الثاني للوصول إلى الحكم من جهة أخرى. فالشاعر الذي غادر مجتمعا بسيطا في بيئة أقرب إلى البداوة، تسمه العلاقات البريئة المجرّدة من الأغراض

والنفعية يصدمه ما يرى في مجتمع العراق من تحارب وتنافس على السلطة، يصل حدّ تخلّص الأخ من أخيه، والابن من أبيه، فلا يجد إلا فنّه الشعري وسيلة للتعبير عن مشاعره المتضاربة، متكئا على معارفه الصحراوية التي اكتسبها في صباه وشبابه، ليبني هذا النصّ المدهش والمتقدم فنيا، بخاصة في نزعته الدرامية التي صوّر عبرها مشهد الذئب بخاصة بأدقّ تفاصيله ومفرداته.

من جهة أخرى ليس هذا التعليق الذي يؤكّد أنّ سمة هذه الحياة هي الجور والظلم بعيدا عن موقف الحبيبة التي اختارت فراق الشاعر، وهو مَن هو في فروسيته ونجدته وكرمه ومقارعته الأعداء ووحوش الصحراء، وربما كان ذلك لصالح وغد لئيم لا يستحقها، ما دفعه إلى أن يتساءل عبر الجزء الأخير من قصيدته، الجزء الذي يخصّصه ليبّث عبره خلاصة تجربته: هل من العدل أن يشقى الكريم في هذه الحياة، ويأخذ اللئيم من الأيام الصفو والسعادة.

٧ - اذكر الحكم التي وصل إليها البحتري بعد نضوج تجربته .

الجواب :

الكريم يشقى في الحياة ، بينما الوغد ينعم فيها ، لذلك استنكر أن يكون هذا هو العدل .

الاعتماد على العزيمة في المضي بالحياة لا على الحظ.

الصبر على الملمات .

الإيمان بالقضاء والقدر.

ليس للمرء إلا ماسعى .

لا عدل إذن في هذه الحياة القاسية الجائرة التي يشقى فيها الكريم، ويكسب منها اللئيم النذل. ورغم ذلك فإنه مصمّم على خوض مقارعة الخطوب مهما كانت النتيجة، فعزمه لن يلين أبدا، وهو مقدم إقدام حدّ السيف الحسن الصنع إذا ما أشهر، فهو يعرف أنّ قضاء الله لا يردّ، ولن يسلم منه الجبان الذي أقعدته عن محاولة الحصول على المجد خشية الموت. وإذا لم يتمكن من الحصول على ما ينشد في هذه الحياة من مال أو ثناء فيكفيه شرف المحاولة.

دلالة حرف الراء في القصيدة :

هنا يصور البحتري صراعه المفترضة مع الذئب ، وكيفية قتاله وانقضاضه عليه ، وتربص الذئب به ، وهي صورة متحركة تتميز بالحركة السريعة ؛ لذا نجده قد استخدم صوت الراء في لوحة الصراع تلك . وتكرير صوت الراء بتضعيفها في لفظة (فخرَّ) دلالة مرئية تجعل المتلقي وكأنه ينظر إلى سقوط عدوه (الذئب)، فهو ليس سقوطاً عادياً بل متدرجاً مع صوت الراء المفصلة ، فهو يجعل من الذئب يسقط سقوطا متتالياً حتى انهار تماما ، ثم جاء بكلمة مسكنة الراء في لفظة (فرْد) ، وكأنه يريد للمتلقي أن يتأمل جيداً بل إنه يريد أن يوقف هذا المشهد القتالي بحركاته السريعة لينتهي بالموت .

لقد أعطى الشاعر في صراعه هذا دلالة قوته وقدرته الفائقة على القتال ؛ أي حتى الوحش المفترس لم ينجُ من هجومه بل تركه صريعا ملقى على الأرض .

وهذا بين في قول البحتري :

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها على كوكب ينقض والليل مسود

فخر وقد أوردته منهل الردى على ظمإ لو أنه عذب الورد

أدرك البحتري بسليقته أن من دلالات صوت الراء التفصيل . فالراء في اللغة تمثل المفصل في الجسد ، فإذا ما نظرنا إلى الكلمات التي تكررت فيها الراء في مشهد الصراع لأعطتنا صورة مرئية تماثل تهالك الذئب تدريجيا وتهاويه على الأرض بما يشبه تهاوي أعضاء الحركة في الجسد ، فحرف الراء بتفصيل صوته (ر . ر . ر) يساعد هذه الأعضاء على التحرك بمرونة في كل الاتجاهات ، فإن كانت الصفات الثلاث لا تنفصل بعضها عن بعض ، فصوت الراء هو الرابط بينها ، فهي جسد واحد أو قطعة واحدة والراء يظهر حركة كلٍّ منها .

فخر صريعا وقد أوردته منهل الردى على ظمإ ، لو أنه عذب الورد

أوردته –الردى –فهو يظهر حركة صوت (الراء) في الشطر الأول متمثلة في ألفاظ (فخر – الورد) كما كررها قبلا في (المقرور – أرعده – الرعد – البرق) ، ولما كان لصوت الراء تماثل للصور المرئية التي فيها تأرجح فقد استخدمها الشاعر هنا لتناسب الشعور النفسي للإنسان الخائف ، فالخوف يصاحب اضطراباً بل رعشة يمكن تجسيدها وإظهارها واضحة إذا ما ذهبنا بخيالنا إلى تأرجح الجسم وعدم استقراره ، وهو ما يوحي به صوت الراء .

انتهت المحاضرة